

الْحُثُّ عَلَى الْعِنَايَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَعَلُّمِهِ

قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَارٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسولِ الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فإني أشكرُ الله سبحانه على هذا اللقاء بأبنائي الكرام على تَعَلُّمِ القرآن الكريم وحَفْظِهِ، والدعوة إليه والعمل به، ولا رَيْبَ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله مُنزَّلٌ غيرُ مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، أوحاهُ إلى عبده ورسوله وخاتمِ أنبيائه مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله - عليه الصلاة والسلام -، وفيه الحُجَّةُ على جميع عباده.

قال تَعَالَى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠٠﴾﴾ [إبراهيم]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٣٦﴾﴾ [ص].

وقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام].

فالواجبُ على جميع المُكَلَّفِينَ العملُ بهذا الكتابِ، والسَّيرُ على توجيهِه، وما بينَ الله فيه سبحانه والحدُرُ من مخالفةِ ذلك، كما يجبُ عليهم أيضًا العملُ بسُنَّةِ الرسولِ ﷺ كما قال تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿١٣٨﴾﴾

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٣٩﴾﴾

[النور]، وقال سبحانه وتَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وأخبر سبحانه أنه أرسله إلى جميع الناس - جنَّهم وإنسهم، عربهم وعجمهم -، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف].

فالهدايةُ باتِّباعِهِ ﷺ واتِّباعِ ما جاء في كتابِ الله - عَزَّ وَجَلَّ - فقد قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً

لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿١٤١﴾﴾ [سبأ]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنبياء].

وقال النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - : «بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً» (١).

فالواجب على جميع المُكَلَّفِينَ التَّمَسُّكُ بكتابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - عليه الصلاة والسلام - .

وفي حديثٍ آخر: «وإني تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ؛ أولهما: كتابُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتابِ اللَّهِ تعالى واستمسكوا به» (٢).

واللَّهُ خَلَقَ الخَلْقَ ليعبده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، وأمرهم بذلك، قال

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وأرسل رُسُلَهُ بذلك، قال - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذه العبادة هي طاعةُ اللَّهِ، وهي توحيدُ اللَّهِ، وهي تقوى اللَّهِ، وهي البرُّ والهدى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ

مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٣﴾﴾ [النجم].

فلا بد من تَعَلُّمِ هذه العبادةِ والتَّبَصُّرِ فيها، وهي دينُ الإسلام، فأنت مخلوقٌ للعبادةِ، فعليك أيها الرَّجُلُ وعليك

أيها المرأةُ - عليكما جميعاً أن تتعلما هذه العبادةِ، وأن تعرفاها جيداً؛ حتى تُؤدياها على بصيرة، وهذه العبادةُ

هي دينُ الإسلام، وهي الحَقُّ والهُدَى، وهي تقوى اللَّهِ، وتوحيدُ اللَّهِ وطاعته، وأتباعُ شريعته، هذه هي العبادة التي

أنت مخلوقٌ لها، سَمَّى اللَّهُ دينَهُ عبادةً؛ لأنَّ العبدَ في الدنيا يُؤديها بخصوعٍ وانكسار، فدينُ الإسلام كُلُّهُ عبادة

وتقوى لله؛ والصلاةُ عبادة، والزكاةُ عبادة، والصومُ عبادة، والحجُّ عبادة، والجهادُ عبادة، وهكذا جميعُ ما فَرَضَ اللَّهُ

علينا عبادة تُؤدِّي لله طاعةً لله.

فهذا الدينُ العظيمُ دينُ الإسلام: هو العبادةُ التي أنت مخلوقٌ لها، وهي التقوى، وهي البرُّ والهُدَى، فالواجبُ على

جميعِ الثَّقَلَيْنِ - جَنَّهُم وإِنَّسَهُم، ذكورهم وإناثهم - أن يتقوا اللَّه، وأن يعبدوه؛ بطاعةٍ وأوامره واجتنابِ نواهيه،

والإخلاصِ له، وعدمِ عبادةٍ سِوَاهُ؛ فيجبُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَصْرِفَ عبادتَهُ لِلَّهِ وَحَدَهُ، وهذا معنى «لا إله إلا

اللَّهُ»، فإنَّ معناها: لا معبودَ حَقَّ إِلَّا اللَّهُ، كما قال تعالى في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج].

وقال - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

(١) رواه البخاري في التَّيْمَمِ برقم: ٣٢٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب: (فضائل الصحابة)، برقم: ٤٤٢٥، وأحمد في مسند الكوفيين، برقم: ١٨٤٦٤.

فهذا معنى لا إله إلا الله، والإله: هو الذي تأله القلوب، وتُعظَّمه بأنواع العبادة، ولا يستحق ذلك إلا الله وحده، ولا تصح العبادة لغيره، فيجب على أهل الأرض الجن والإنس وجميع المكلفين - من ذكور وإناث، ومن عرب وعجم -، يجب على الجميع أن يعبدوا الله وأن يتقوه، وأن يُطيعوا أوامرَهُ، وأن ينتهوا عن نواهيه، وأن يقفوا عند حدودِهِ عن إخلاصٍ وصدقٍ ورغبةٍ ورهبةٍ؛ لأنهم خلقوا لهذه العبادة؛ وخلقوا ليتقوه ويُطيعوه، وخلقوا لدين الإسلام الذي هو عبادة الله، وأمرُوا بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا الإسلام - الذي رضىه الله لنا ولن يقبل منا سواه - هو: عبادة الله وتوحيد الله وطاعته واتباع شريعته قولًا وعملاً وعقيدةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، ولا سبيل إلى هذا العلم ومعرفة هذه العبادة إلا بالله، ثم بالتعلم والتفقه والدراسة؛ حتى تعلم دين الله الذي خلقت له، وهو دين الإسلام، وتوحيد الله وطاعته، فيجب العلم والتفقه والعناية بالقرآن الكريم والسنة؛ حتى تعلم هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، وحتى تقوم بذلك وتعمل بذلك عن إخلاص لله، ومحبة لله، وعن تعظيم لله في جميع الأحوال.

يجب أن تستقيم على توحيدهِ وطاعته واتباع شريعته، وترك ما نهى عنه أبداً أبداً، وأينما كنت حتى تموت على ذلك، قال تعالى لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ١٠١]؛ أي الموت، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذه هي العبادة التي أنت مخلوق لها؛ تقوى الله، والاعتصام بحبِّهِ، والاستقامة على دينهِ، ومن وسائلها: أن تُعنى بكتاب الله، وأن تُدرِّس كتاب الله، وأن تتفقه فيه وفي سنة رسول الله ﷺ؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). متفق على صحته.

وأنا أهنئ القائمين على هذه المدارس لعنايتهم بكتاب الله، وأنا أشكرهم على ما يقومون به نحو تعظيم كتاب الله وتعليمه للأجيال، فإن هذا هو طريق السعادة لمن استقام على ذلك، وأخلص في ذلك.

نسأل الله أن يعينهم على ما فيه رضاه، وعلى ما فيه سعادتهم، وما فيه توفيقهم للفقه في الدين، وإني أهيئ بجميع الدارسين والمدرِّسين، إلى أن يُعَوِّنا بكتاب الله - أستاذًا وطالبًا وموظفًا -، وأنصح الجميع أن يُعَوِّنا بكتاب الله؛

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، برقم: ٦٩، ومسلم في الزكاة، برقم: ١٧١٩.

تلاوةً وَتَدَبُّرًا وَتَعَقُّلاً وَعَمَلًا وَحِفْظًا؛ ففي كتابِ اللهِ الهُدَى والنور، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فهذا الكتاب العظيم فيه الهدى والنور، وكلُّ حَرْفٍ بِحَسَنَةٍ، وكلُّ مَنْ تَعَلَّمَ حَرْفًا فَلَهُ حَسَنَةٌ، والحسنةُ بعَشْرٍ أمثالها، وأوصي الجميع بالعناية بكتابِ الله -عزَّ وجلَّ- دراسةً وتلاوةً وتَدَبُّرًا، وَحِرْصًا على معرفة المعنى، وعملاً بذلك، مع الحِفظِ لِمَا تيسَّرَ من كتابِ الله، وهو أعظمُ كتابٍ وأصدقُ كتابٍ، فقد أنزله اللهُ رحمةً للناسِ، وشفاءً لِمَا في الصدور، وجعلَ الرسولَ أيضًا رحمةً للعالمين، وهدايةً للبشرِ، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فيجبُ أن نتعلمَ هذا الكتابَ ونتفقهَ فيه؛ حتى نعلمَ ما خَلِقْنَا له، فنَعْلَمُ العبادةَ التي خَلِقْنَا لها حتى نستقيمَ عليها، وهكذا السُّنَّةُ -سُنَّةُ الرسولِ ﷺ- نتعلمُها ونحفظُها ونتفقهَ فيها، ونسألُ عَمَّا أَشْكَلُ علينا، والطالبُ يسألُ عَمَّا أَشْكَلُ عليه من كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسوله، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٦٣]. فتَعَلَّمْ كتابَ اللهِ من أعظمِ نِعَمِ اللهِ، فهنيئًا لِكُلِّ طالبٍ يُعْنَى بكتابِ اللهِ تلاوةً وتَدَبُّرًا وَتَعَقُّلاً وَعَمَلًا، وهذه نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وإني أوصيكم بالاستقامة على هذا الخير العظيم، وسؤالِ اللهِ التوفيقَ والإخلاصَ في ذلك لله -عزَّ وجلَّ-، والعناية بالتَّفَقُّهِ في كتابِ اللهِ، والتَّفَقُّهُ في سُنَّةِ رسوله ﷺ مع العملِ بأداءِ فرائضِ اللهِ، وتَرْكِ محارمِ اللهِ، والمصارعةِ إلى كُلِّ خيرٍ والحذرِ من كُلِّ شرٍّ، مع الإكثارِ من تلاوةِ كتابِ اللهِ ومُدارستِهِ والتَّفَقُّهِ فيه، ومراجعةِ كُتُبِ التفسيرِ المُفيدة؛ كتفسيرِ ابنِ جرير، وابنِ كثير، والبغوي، وغيرهم لمعرفةِ الحقِّ، ولمعرفةِ ما أَشْكَلُ عليكم.

وينبغي للطالبِ أن يسألَ أستاذَهُ عَمَّا أَشْكَلُ عليه عن قَصْدٍ صالحٍ ورغبةٍ؛ كي يتفقهَ في كتابِ اللهِ، وعلى الأستاذِ أن يُعْنَى بذلك للتلاميذِ من جهةٍ توجيههم وتعليمهم الخيرَ والعمل، وأن يكونوا شَبَابًا صالحين؛ يتعلمون وَيُعَلِّمُونَ، وَيُسَارِعُونَ إلى كُلِّ خيرٍ، فَأَهْمُ شَيْءٍ بعدَ الشهادتين هو: أداءُ الصلواتِ الخمس، والمحافظةُ عليها في مساجدِ اللهِ في الجماعة.

ويجبُ على أهلِ العِلْمِ أن يكونوا قدوةً، وأن يكونوا مُسارعينَ إلى أدائها في الجماعة؛ حتى يتَأَسَى بهم غيرُهُم ويُحْتَدَى حَذوهم في ذلك، فالعلماءُ ورثةُ الأنبياءِ، وعلى رأسهم الرُّسُلُ -عليهم أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ-، والعلماءُ بعدَ الرُّسُلِ هم خلفاؤُهُم؛ يَدْعُونَ إلى اللهِ بالقولِ والعملِ والسيرةِ، والطلبةُ كذلك -طلبةُ العلمِ- يجبُ عليهم أن يَعْلَمُوا وَيَعْمَلُوا، وأن يكونوا قدوةً لغيرِهِم، وأن تظهرَ عليهم آثارُ العِلْمِ والتَّعَلُّمِ والتَّفَقُّهِ في دينِ اللهِ وفي كتابِ اللهِ.

نسألُ اللهَ بأسمائهِ الحسنى وصفاتهِ العلى أن يُوفِّقَ الجميعَ لِمَا يُرضيه، وأن يمنحنا جميعًا الفقهَ في الدين، وأن يرزقنا العنايةَ بكتابهِ وسُنَّةِ رسولهِ -عليه الصلاةُ والسلامُ- والعملَ بهما، والدعوةَ إليهما، والتواصيَ بهما قولًا وعملاً وعقيدةً وتفقُّهاً، وأن يُعيدَنا من مُضَلَّاتِ الفِتَنِ ومن نَزَعَاتِ الشيطانِ.

كما نسألُهُ سبحانه أن ينصرَ دينَهُ وَيُعَلِّيَ كلمتهُ، وأن يُصْلِحَ أحوالَ المسلمين في كلِّ مكان، وأن يمنحهم الفقهَ في الدين، وأن يُوفِّقَ حُكَّامَ المسلمين وأمرائَهُم لِمَا فيه رِضاهُ، وَيُصْلِحَ أحوالَهُم، ويمنحهم الاستقامةَ على دينِهِ وتحكيمَ شريعتهِ. كما نسألُهُ سبحانه أن يُوفِّقَ ولايةَ أمرِنَا في المملكةِ العربيةِ السعودية لكلِّ خيرٍ، وأن يُعينَهُم على كلِّ خيرٍ، وأن يُصْلِحَ لهم البِطَانَةَ، وأن يجعلَهُم من الهداةِ المهتدين، وأن يُعيدَنا وإياَهُم وسائرَ المسلمين من مُضَلَّاتِ الفِتَنِ ونَزَعَاتِ الشيطانِ، وأن يجعلَنا جميعًا من عبادهِ الصالحين وحزبهِ المُفلحين؛ إنه سميعٌ قريبٌ. وصلى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين، وأتباعِهِ إلى يومِ الدين.

المقال من موقع شبكة صحاب

<http://www.sahab.net>

موقع دوراتك العلوم الشرعية للأطفال

يساعدكم على تربية أبناءكم على منهاج النبوة

www.KidsSunnah.com